

الاستعارة التجارية في القرآن الكريم، مفاهيم الربح والخسارة

مقاربة معرفية لنماذج مختارة

Commercial metaphor in the Holy Quran, the concepts of gain and loss
Cognitive approach to selected examples

علالية صبيحة¹، د. عائشة هديم²

Allalia Sabiha¹, Dr. Aicha HADIM²

1 جامعة امحمد بوقرة بومرداس (الجزائر)، s.allalia@univ-boumerdes.dz

مخبر الخطاب الصوفي في اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

2 جامعة امحمد بوقرة بومرداس (الجزائر)، aichahadim2020@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2025/01/21

تاريخ الاستلام: 2024/06/24

الملخص:

يُعنى هذا البحث بالكشف عن الأجزاء المكونة للنسق التصوري الذي تقوم عليه العلاقة (إله/عبد) بوصفها علاقة متاجرة، وكذا التصورات المنبثقة عنها من قبيل: الإيمان، والسعي في الحياة، والربح والخسارة... وذلك ضمن النص القرآني، بالاستعانة بإجراءات نظرية الاستعارة المفهومية لجورج لاكوف ومارك جونسون، التي تمد الجسور بين الأسس الفيزيائية والنفسية للتجربة الإنسانية وما ينبثق عنها من تصورات ذهنية متمثلة في تعابير استعارية صريحة وضمنية.

الكلمات المفتاحية: البنية التصورية، الربح، الخسارة، الاستعارة التجارية، الاستعارة المفهومية.

Abstract

This study examines how God and human relationships are conceptualized as being commercial, and it also analyzes some related concepts like gain and loss, diligence in life, and faith within the Quranic text.

The analysis is conducted by using the theoretical framework provided by George Lakoff and Mark Johnson's conceptual metaphor, which best describes the correlation that exists between the physical and psychological bases of human experience and the resulting mental concepts that are either explicitly or implicitly expressed in the form of metaphorical expressions.

Keywords: Conceptualization, gain, loss, commercial metaphor, conceptual metaphor.

المؤلف المرسل: علالية صبيحة، الإيميل: s.allalia@univ-boumerdes.dz

1. مقدمة:

يُبرز إسقاطُ استعارة التجارة على الواقع المعيش تلبس العلاقات الإنسانية بطابع تجاري، وأصبح هذا البعد حاضرا في أشدّ العلاقات حميمية بسبب أسلوب المعيشة العولمي، لذا فمفهوم التجارة الآخذ في التطور بشكل رهيب وخاصة مع تفتّش ما يسمّى بالتجارة الإلكترونية بمختلف ضروبها يتخذ معنى أوسع من مجرد تعامل نفعي فوري فهو متغلغل في عمق اللاوعي الجمعي والفردى، ومع بروز فلسفات التشيؤ التي سلطت الضوء على تحوّل الإنسان ذاته إلى سلعة قابلة للتداول ويجري عليها مبدأ العرض والطلب، وخاصة في ظل النظام العالمي الجديد.

ندرك نتيجة لكلّ هذه التداعيات أنّ مفهوم التجارة أصبح ميكانيزما متجذرا وراسخا يحكم المجتمع وعلاقاته. لذلك أسس القرآن الكريم مفهومًا تكون به التجارة النافعة هي التي تُبنى بين الله تعالى والإنسان وتكون ذات مبتغى يسمو عن الماديات.

عبر القرآن الكريم عن هذه العلاقة باستعارة التجارة، لتثبيت مفاهيم قيمية وإيمانية معيّنة. من أجل ذلك اخترنا تطبيق المقاربة المعرفية وتحديدًا مقولات نظرية الاستعارة المفهومية على نماذج مختارة للإجابة على الإشكالية التالية: كيف تتشكل بنى العلاقة التجارية بين الله والعباد ومفاهيم الريح والخسارة انطلاقًا من استعارة التجارة في القرآن الكريم؟

إن هدف هذا البحث هو إبراز العلاقة بين المفهوم المجازي للتجارة والمفهوم العملي لها، عبر رصد التوافقات النسقية الموجودة بين الإسقاطات الاستعارية للمجال المصدر على المجال الهدف في ذهن متلقي هذه الاستعارة، ودورها في بَنِيَّة نسقه النَّصُوري بمختلف المفاهيم المرتبطة بتفاعله في الوجود انطلاقًا من طبيعة علاقته بالله تعالى. على أن يسبق هذا التطبيق عرضٌ لأهم المقولات النظرية المشتغل بها.

2. مفهوم الاستعارة التصورية:

تقوم نظرية الاستعارة التصورية على فهم جديد للاستعارة ينطلق من فلسفة تجريبية تفسّر تمثّلات مختلف المفاهيم والمعارف التي تُبنى في ذهن البشري من خلال التجربة الواقعية، وبالتالي تُقدّم هذه النظرية إجابة عن الكيفية التي نبني بها الواقع في أذهاننا انطلاقًا من تعابيرنا الاستعارية، فالهدف من التفكير الاستعاري هو التفاعل الأمثل مع الواقع المستجد وتحسين الفهم واكتساب المعرفة. فالاستعارة كما يرى "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" -مؤسسا هذه النظرية- ليست محض أداة بلاغية زخرفية ولكنها وسيلة من وسائل اشتغال الذهن لا غنى عنها في كل أنواع الخطابات.

لذلك يُعرفانها بقولهما: "الاستعارة أساسا هي وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر ووظيفتها الأولى الفهم" (جورج لايفوف، 2003، صفحة 74).

مثل ذلك قولنا: الجدل حرب، الحب رحلة، الدنيا سفر... حيث نتصور الجدل الذي هو نشاط كلامي عبر نشاط فيزيائي هو الحرب، أو نتمثل الحب الذي هو مفهوم تجريدي عن طريق تجربة الرحلة كما نعرفها، أو نفهم أزمنة الحياة وأحوالها من خلال تجارب السفر وهذا يقدم لنا فهما أفضل لمفاهيم تتعلق بالجدال والحب والحياة.

1.2 نسقية التصور ومبدأ الجزئية:

يدور الانتقاد الذي وجهه (جورج لايفوف) و(مارك جونسون) للنظرة التقليدية للاستعارة في اقتصارها على دراسة التعبير اللغوي الاستعاري في حد ذاته مغفلة للسيرورات التي تسبق إنتاجه، حيث ينطلقان من فرضية أن الاستعارة لا تنهض فقط بوظيفة عرضية في وصف الأشياء في الكون وفي تفاعلنا معه، ولكن تفاعلنا معه وتعبيرنا عنه هو نشاط تصوري مُنظَّم عبر أنساق تصوّرية تتميز بالجزئية، وتعني النسقية في نظرية الاستعارة المفهومية: "الانسجام الحاصل بين الاستعارات، وهي واقعة إما بين العبارات الاستعارية ضمن نفس التصور الاستعاري وتسمى نسقية داخلية. وإما بين التصورات الاستعارية وتسمى نسقية خارجية، فالنسقية صفة تسم التصور الاستعاري والعبارات الدالة عليه." (مصمودي، 2017، صفحة 138)

حيث تتفرع عن النسق الاستعاري لمفهوم ما مجموعة من التعابير الاستعارية مثل القول: أنت تهدر وقتك فيما لا نفع فيه، أو القول: ليس لدي الكثير من الوقت، كلها تعابير لنسق واحد هو "الزمن مورد ثمين"، فقد تتمثل الدول الرأسمالية العاملة الزمن باعتباره كنزا وموردا هاما في نسق واحد هو (الزمن مال) في حين تعتبره دول أخرى _المستعمرة مثلا_ شيئا آخر: (الزمن عبء ثقيل) مثل: ماضي النكسة لم يبرحنا منذ دهور / المستقبل يسير إلينا بنتأقل.

فإذا كان لتصور الزمن عدة تعابير استعارية، فهذا يعني أن تصورنا للزمن ليس تصورا واحدا وأن كل واحد منا يرى الزمن من زاوية معينة، مما يعني أن نظرتنا للزمن نظرة جزئية وغير شاملة، وأن للثقافة دور في بناء مثل هذه التمثلات وهذا هو الشأن في تصورنا عن بقية الأشياء من حولنا، لذلك يطرح (لايفوف وجونسون) فكرة مفادها أن تصوراتنا _فضلا عن كونها مبنية استعاريا _ فهي مبنية جزئيا أيضا وتتدخل الثقافة في إبراز جزئية معينة دون غيرها. (جورج لايفوف، 2003، صفحة 78)

2.2 أنماط الاستعارة التصويرية:

يلخص الباحثان أنماط الاستعارة في ثلاث:

1.2.2 الاستعارة الاتجاهية:

تفطن (لايكوف وجونسون) إلى أننا نوظف في الكثير من استعاراتنا تعابير اتجاهية حيث يقولان: إن هذا المفهوم لا يبين فيه تصوّر ما عن طريق تصور آخر، ولكنه على عكس ذلك يُنظم نسقا كاملا من التصورات المتعلقة، وسنسمي هذا النوع من التصورات بالاستعارات الاتجاهية، إذ إن أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال/مستقل، داخل/خارج، أمام/وراء، فوق/تحت، عميق/سطحي، مركزي/هامشي. (جورج لايكوف، 2003، صفحة 39). هذا النوع يعدّ من الاستعارات القاعدية المتضمنة في أغلب أنماط الاستعارات التي سيأتي ذكرها، وله علاقة بوضعية أجسادنا في الفضاء (الأساس الفيزيائي)، حيث تزود الاستعارة ذات النمط الاتجاهي تصوراتنا عن الأشياء المجردة كالمشاعر والحالات النفسية كالسعادة والحزن...، بأبعاد فضائية، وتسمى هذه العملية (النقضية) بغرض جعل تصوراتنا الأقل وضوحا أكثر وضوحا عن طريق وضعيات أجسادنا في المحيط الفيزيائي، فضلا عن تجربتنا الثقافية". (جورج لايكوف، 2003، صفحة 39).

أمثلة: إنني تحت ضغط نفسي/ أنا في قمة السعادة/ ورائي الكثير من الأشغال.

2.2.2 الاستعارة الأنطولوجية:

تُبنى عبر هذا النوع من الاستعارات تمثلاتنا عن الأشياء المجردة كالمشاعر والأفكار... حيث تصبح وكأنها كيانات نتحسّسها ليسهل علينا تمثّلها وفهمها، ومن ثم حسابها أو تكميمها أو الإحالة عليها باعتبارها شيئا ماديا له وجود حقيقي في المحيط الفيزيائي كقولنا: (لا أستطيع هضم هذه النظرية) أو (علينا أن نمد الجسور بيننا مرة أخرى). بهذه الاستعارات مثلا نستطيع تصور صعوبة النظرية عن طريق تمثيلنا للأفكار على أنها أغذية صعبة الهضم، كما يسهل علينا تصور صلاتنا ببعضنا بتصورها على أنها جسور.

3.2.2 الاستعارة البنيوية:

يعرّفها (لايكوف وجونسون) بقولهما: "الاستعارة البنيوية مفادها أن يُبين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر" (جورج لايكوف، 2003، صفحة 32). وينتهيان في آخر الأمر إلى اعتبار كل الاستعارات بنيوية بما فيها الاتجاهية والأنطولوجية، لكن هذا لا ينفي الخصائص الاتجاهية والأنطولوجية لكل منهما تباعا، وتفسير ذلك أن الكيانات والاتجاهات ماهي إلا مفاهيم مجردة في الأخير.

وضربا مثلا شارحا لهذا النوع من الاستعارة هو (الجدال حرب) حيث يُعد التواصل أكثر الأنشطة التي يُجزها الإنسان يوميا، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون هذا النشاط مثاليا دائما فيقتصر على الحديث النموذجي فقط، بل يتطوّر في أحيان كثيرة إلى جدالات نظرا لاختلاف وجهات النظر، وتتيح استعارة (الجدال

حرب) فهما أفضل لتجربة الجدل بواسطة تصور الحرب بتوظيف تعابير استعارية من قبيل: هزم جميع حججي، سأنتصر لرأيي، وجهة نظرك تحتاج إلى دعم... (جورج لايكوف، 2003، صفحة 81)، إذ يكاد لا يمكن التعبير عن الجدل بعيدا عن توظيف تعابير استعارية مرتبطة بتصور الحرب في أذهاننا، ويرجع هذا إلى أسس تجريبية فيزيائية وثقافية متجذرة في نسقنا التصوري العادي.

3. آليات الاستعارة المفهومية:

1.3 الأسس التجريبية للاستعارة (الفيزيائية والثقافية):

حسب منظور (لايكوف وجونسون) لا تقوم أية (استعارة مفهومية) إلا بمقتضى أساسها في التجربة أي في تجاربنا المختلفة التي نعانيها في الواقع، "فقد كان تصورهما مبنيا على نظرية تفاعلية تسعى إلى تفسير استناد التصورات الاستعارية إلى البعد التجريبي البشري، وقوامه التفاعل مع المحيط". (جونسون، 2016، صفحة 11).

ولست التجربة الثقافية بمنأى عن هذا المعنى، فالأسس الفيزيائية كما يطرح المنظران هي الأخرى تحمل صبغة ثقافية قد تختلف في جزء منها حسب ثقافة كل بلد: فالبلدان الأوروبية مثلا تقول: أدفأت قلبي، في حين تقول البلدان الجنوبية أثلجت صدري، يختلف التعبيران في جزء من الأساس الفيزيائي لاختلاف البيئة والثقافة ولكنهما يتفقان في كون الشعور بالرضى مكنه القلب. حيث "من الصعب التفريق داخل استعارة معينة بين الأساس الفيزيائي والأساس الثقافي، إذ إن انتقاء أساس فيزيائي ما من بين أسس فيزيائية أخرى، أمر مرتبط بالانسجام الثقافي" (جورج لايكوف، 2003، صفحة 38)، ويرجع الباحثان هذا إلى ما يسميانه: التوافقات النسقية بين الاقتضاءات.

2.3 التوافقات النسقية والاقتضاءات الاستعارية:

التوافقات النسقية هي ما يسوّغ توظيف بعض الاستعارات القاعدية لتمثّل مفاهيم أقل وضوحا عن طريق تمثيلات أخرى ركيزة في أذهاننا مثل الاتجاهات (داخل/ خارج، فوق/ تحت، مرتفع/ منخفض..) المستمدة أساسا من تجاربنا الحسية ووضعيات أجسادنا في الفضاء. (جورج لايكوف، 2003، صفحة 39).

مثل: أنا في قمة السعادة اليوم، يقتضي أن يكون الجسم في وضعية استيقاظ وصحة جيّدة، بينما تقتضي وضعية التمّدّد النوم أو المرض أو التعب، فاقتضاء (الصحة) في وضعية الانتصاب يتوافق مع اقتضاء (السعادة فوق)، فالصحة والسعادة كلتاهما متعلق بتصورنا عن الرفاه، والتداخل بين هذين الاقتضاءين هو المحدّد للانسجام بين هذه التصورات.

إذ تتمتع تجاربنا بتسلسل اقتضاءات، والتوافقات النسقية بين التجربة والتصور الاستعاري هي توافقات في تلك الاقتضاءات، أي انسحاب اقتضاءات التجربة على اقتضاءات التصور. لذا فالتوافقات النسقية هي التوافقات في الاقتضاءات الاستعارية، والتداخل بين هذه الاقتضاءات هو المحدد للانسجام الاستعاري.

3.3 الجشطالت التجريبي:

الجشطالتات عبارة عن بُنى تصويرية داخل نسقنا التصوري، تشكّل مجموعة من الأبعاد التصويرية المنسجمة المقلّبة لأبعاد التجربة نفسها مثل تجربة الحديث المتكونة من (طرفي حديث، أدوار، مقاطع، ترابط سببي، غاية ..) (جورج لايكوف، 2003، الصفحات 109-110).

إذ تقدم لنا تجاربنا المباشرة (كالحديث) مقولات منبثقة مباشرة، تشكل أبعادا لجشطالت الحديث في حين نحتاج لفهم تجربة الجدل وهي تجربة ذات بنية تصوّرية غير مباشرة إلى معرفة الترابطات النسقية بين عناصر من جشطالت الحرب انطلاقا من الأبعاد التجريبية لجشطالت الحديث، وهي عملية لا واعية "وهكذا، فإن نشاطا واحدا وهو الكلام، يفهم من خلال نشاط آخر وهو الصراع الفيزيائي. فبنية تجربتنا من خلال هذه الجشطالتات المتعددة الأبعاد هو ما يجعل تجربتنا منسجمة. إننا نعيش تجربة الحديث باعتبارها جدالا حين يطابق جشطالت الحرب إدراكاتنا وأنشطتنا في الحديث." (جورج لايكوف، 2003، صفحة 113).

4.3 الخصائص التفاعلية:

يقوم المنظور البلاغي المعرفي الجديد، على التجربة التي يتفاعل فيها الجسد والذهن البشريين، من أجل مفهومة الواقع بواسطة النسق التصوري البشري، القائم على آلية مركزية، وهي الاستعارة، وهذا المبدأ هو ما قامت عليه نظرية الاستعارة المفهومية. "فالمعنى لا يمكن أن يوصف بالموضوعية، لأنه ليس مستقلا عن الذات المدركة، وخلفياتها الثقافية والنفسية ولهذا، فالأشياء والموضوعات لا تمتلك خصائص ملازمة لها وعلاقات ثابتة فيما بينها، مستقلة عن الإدراك البشري." (جورج لايكوف، 2003، صفحة 261).

فالحب مثلا، كما يشير إلى ذلك لايكوف وجونسون لا يعرف في القواميس بأنه جنون أو أسفار أو حروب.. لأن هذه المعاني ليست من معاني الحب كونها خصائص ملازمة له، كما يرى الموضوعيون، بل حدّها ومفهومها في تصور الأفراد متفاوت، كل حسب تفاعله مع تجاربه ومع الواقع، ففهمنا للحب كونه (جنون) هو تصور استعاري مبني نتيجة توافق بعض أبعاد بنية الحب مع الأبعاد الطبيعية لبنية تجربة الجنون. (جورج لايكوف، 2003، الصفحات 145-146) فهو ذو خصائص تفاعلية نلبسها إياه حسب تجاربنا وتفاعلاتنا معها.

5.3 الإسقاط الاستعاري:

الإسقاط كما سبق ذكره هو إسقاط ما بين مجالين وفق جملة من التناسبات بين بنية التجربة وبنية التصور الاستعاري، حيث يقوم الذهن بإسقاط المقولات المنبثقة من التجارب المباشرة على تجربة أقل مباشرة. وهو إسقاط معرفة من المجال المصدر على معرفة من المجال الهدف بأسلوب تناظري مثل إسقاط معرفتنا حول الرحلة على معارفنا حول الحب في استعارة الحب رحلة:

المجال الهدف (الحب):

التعارف

المواقف

الزواج

الفراق

المجال المصدر (الرحلة):

الانطلاق

المحطات

الوصول

النهاية

إن ترسيمة الحب رحلة، هو مجموعة من التناظرات الأنطولوجية، التي تشخص تناظرات إبستمية من خلال ترسيمة المعرفة حول الرحلات، على المعرفة حول الحب، ومثل هذه التناظرات تتيح لنا أن نستدل حول الحب، مستخدمين المعرفة التي نستخدمها لنستدل حول الرحلات" (لايكوف، 2014، صفحة 15)، وبتعبير آخر، فإن هذه المعرفة هي تلك التوافقات النسقية الناجمة عن الطبيعة التفاعلية بين التجربة (الخبرات المحصلة منها) والتصور، المتضمنة في كل مَبْنَيْن هو: "الجشطلتات التجريبية" _ كما سبق التفصيل فيها _.

4. استعارة التجارة في القرآن الكريم:

جاءت كلمة التجارة في القرآن الكريم بلفظها الصريح تسع مرات في ثمان سور، في حين وردت ضمناً في العديد من الآيات الأخرى، وأورد القرآن لفظ التجارة بمعناه الحقيقي (التجارة بين الناس) في ست آيات وما يقتضيه من أحكام وضوابط، وفي ثلاث آيات بالمعنى المجازي (التجارة مع الله) وما فيه من دلالات ضمنية، ولكليهما مقوماته ورأس ماله وسلعته وطرائقه وأرباحه. لكننا سنكتفي في هذا المقام بتحليل المعنى المجازي للتجارة في جانبه الاستعاري لما للتعبير المجازية من قدرة على توطين دلالات متنوعة وبَيِّنَتها داخل الخطاب.

1.4 مناسبة استعارة التجارة ونمطها:

النموذج الأول: يقول الله تعالى في سورة (الصف): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَارَةٍ تُبْخَرُونَ بِهَا فَمَا تَرْجُونَ بِهَا ثَوَابًا ۚ تَقُولُونَ لَا تَنْهَ عَنْهُ الْمَلِكُ ۖ يَنْهَىٰ عَنْهُ الْمَلِكُ ۚ وَالْمُلُوكُ لَا يَعْلَمُونَ ۚ﴾ (10) ثُمَّ تَقُولُونَ لَا تَنْهَ عَنْهُ الْمَلِكُ ۚ يَنْهَىٰ عَنْهُ الْمَلِكُ ۚ وَالْمُلُوكُ لَا يَعْلَمُونَ ۚ﴾ (11) بِغَيْرِ لَكُمْ دُونَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴿سورة الصف، 10-13﴾

نفترض أن الآيات (10-13) من سورة الصف هي السياق المحوري لاستعارة التجارة في القرآن، لأنها تجمع عدة أجزاء من التصور الاستعاري الآتي بينها.

يفسر فخر الدين الرازي هذه الآيات بقوله: "وقوله تعالى: ﴿عَلَى تِجَارَةٍ﴾ هي التَّجَارَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَحَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى... وَكَمَا أَنَّ التَّجَارَةَ تُنْجِي التَّاجِرَ مِنْ مِحْنَةِ الْفَقْرِ، وَرَحْمَةِ الصَّبْرِ عَلَى مَا هُوَ مِنْ لَوَائِمِهِ، فَكَذَلِكَ هَذِهِ التَّجَارَةُ وَهِيَ التَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ وَالْإِفْرَارُ بِاللَّسَانِ... وَكَمَا أَنَّ التَّجَارَةَ فِي الرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ، فَكَذَلِكَ فِي هَذَا، فَإِنَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ الْأَجْرُ، وَالرِّبْحُ الْوَاقِعُ... وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَلَهُ التَّخَسُّرُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ". ينظر: (الرازي، 1420هـ، صفحة 531).

يريد الرازي بقوله هذا أن التجارة مع الله تجارة رابحة تقوم على مقايضة عمل صالح بثواب، ومثلها الإيمان بالله فكما تنجي التجارة الفعلية من الفقر، فإن التجارة مع الله تنجي من الكفر وموبقاته وعقابه.

وأورد القرطبي في تفسيره أنها نزلت في الصحابي عثمان بن مظعون الذي أراد أن يزهد في كل متاع الدنيا ابتغاء مرضاة الله، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم عليه ذلك لأنه ليس من الدين ولا من سنته صلى الله عليه وسلم، فسأله ابن مظعون عن أحب التجارات إلى الله ليتاجر بها فنزلت هذه الآيات. (القرطبي، 1964، صفحة 87).

الشاهد من هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يعلمنا أن متاع الدنيا يمكن أن يكون قربة لله والزهْدُ فيه ليس مجلبة لرضاه بالضرورة، والتجارة إحدى متاع الدنيا المحبب إلى قلوب الناس لما فيها من ربح وازدهار في الرزق، فجعلها الله استعارة تبني تمثلاتنا عن مفاهيم الربح والخسارة الحقيقية.

النموذج الثاني: يقول الله تعالى في سورة (فاطر): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [سورة فاطر، 29-30]

يفسره الزمخشري: بقوله: "والتجارة: طلب الثواب بالطاعة. وَلِيُوفِيَهُمْ متعلق بـلن تبور، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أَجُورُهُمْ وهي ما استحقوه من الثواب وَيَزِيدُهُمْ من التفضل على المستحق." (الزمخشري، 1998، صفحة 511)

بمعنى أن المؤمنين عندما يرجون ربح الثواب من الله بفعل الطاعات من تلاوة وصلاة وصدقة خفية أو معلنة، وكأنهم وعلى سبيل المجاز يبيعون طاعاتهم لله ليحوزوا بها على ربح متمثل في ثواب الله وفضله. وفي هذا المعنى يبرز قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة، 111] والمقصود كذلك أن هذه المعاملة التجارية المجازية رابحة في كل الأحوال فالكساد يقع على المنتجات التي تكس ولا تجد مشتر لها فتحصل الخسارة الفادحة، أما التجارة مع الله فتستحيل خسارتها لأنها متعلقة بشارٍ لا يفنى ولا حد لثمن البضاعة التي يقبلها.

تبرز في هذين النموذجين استعارة جوهرية هي "طاعة الله تجارة رابحة"، وهي حسب نظرية (لايكوف وجونسون) استعارة بنيوية بنيت (تجربة الفوز بثواب الله تعالى) وهي المجال الهدف عبر (تجربة التجارة) وهي المجال المصدر، وذلك بإسقاط بنية تجربة التجارة الفعلية التي يمارسها الناس، على جشطلتات متعددة الأبعاد لتجربة الإيمان بالله ونيل رضاه، سنستكشفها في مقالنا هذا تباعا.

2.4 التحليل المعرفي للاستعارة:

1.2.4 الأساس التجريبي لاستعارة التجارة:

1.1.2.4 الأساس الفيزيائي:

- هذه الاستعارة بنيوية كما سبقت الإشارة، وهي قائمة على إسقاط أبعاد تجربة التجارة على التصور الاستعاري كما تُعرّف في أساسها عند عامة الناس بغض النظر عن أنواعها وتفاصيلها المتعددة وهي:
- نوع المعاملة: مادية/ حاضرة: التجارة عموما تبادل ماديات (منتج و ثمن) للحصول على ماديات أخرى (منتجات وأثمان). وهذا لا ينفي وجود تبادل للخدمات المعنوية ذات العائد المادي كالعلاج والترفيه والتعليم، لكن هناك أشياء لا تشتري بالمال كالقيم والأخلاق والمشاعر وهذه يعبر عنها بالتجارة مجازا.
 - التاجر (البائع): هو صاحب السلعة يعرضها للبيع مقابل ثمن يتناسب أو يزيد عن قيمتها الأصلية تحصيلًا للربح والفائدة.
 - الزبون (المشتري): هو طالب السلعة والمالك لما يقابلها من المقدار المادي (الثمن).
 - المنتج (البضاعة): هو المادة المعروضة للبيع، لها قيمة مادية محدّدة (سعر محدّد).
 - الثمن (المال): هو وسيلة الاستبدال حيث يستبدل بالمنتج حسب قيمته المقدّرة.
 - غاية التجارة: زيادة في الربح للتاجر وتوفير الحاجيات للمشتري.

- **العقد:** ميثاق مكتوب ومشهود عليه بين طرفي المعاملة التجارية، ويكون غالبا في المعاملات باهظة الثمن كـشراء عقار (قطعة أرض أو بيت مثلا). وفي حالات الديون.

هذه الأبعاد البارزة هي جزء من تصوّرنا الشامل للتجارة، أي جزء مما يتشكل منه جشطالت التجارة في أذهاننا، ويمكن توسيع هذا الجشطالت حسب رصد الخصائص التفاعلية في تجربة الأفراد، فتصوّر التجارة عند التاجر الماهر أو الخبير الاقتصادي أوسع منه عند الإنسان العادي.

ولم يذكر القرآن التجارة بمعناها المجازي فحسب بل بمعناها الحقيقي أيضا في مفهومها التعامل بين البشر مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ

﴿ [سورة البقرة، 282]

يقول الزمخشري: "ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد. والمعنى: إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين." (الزمخشري، 1998، صفحة 327).

بمعنى أن التجارة الحاضرة إذا تم فيها البيع فوراً لا حاجة لتدوينها كالدين لانتهاء عقد المعاملة بانتهاء عملية البيع والشراء.

2.1.2.4 الأساس الثقافي:

يصعب تحديد اللحظة الأولى التي ذكرت فيها التجارة استعاريا في تاريخ التعبير اللغوي البشري والعربي على صعيد التعاملات المعنوية فيما بينهم أو في علاقتهم بالإله، غير أن القرآن نزل على العرب وكانوا أهل تجارة وعُرفوا بها. ينظر: (عرفة، 2023، صفحة 254)، ومن الممكن ورودها في أشعارهم قبل الإسلام وبعده، لكن الأكيد أن استعارة: (التجارة مع الله تجارة رابحة) هي استعارة مذكورة في عدة مواضع من القرآن، مكّنت من نشوء نسق تصوّري منسجم عن تصوّر العلاقة مع الله وغاياتها التوحيدية والتهذيبية، وأسست لاستعمالات استعارية إبداعية وهذا ما سنحاول بيانه فيما سيأتي.

والتجارة في اللغة من تَجَرَ: التَّجَارَةُ: ما يُتَجَرُّ فيه وهي تقلب المال بالبيع والشراء لغرض الرِّيح. (الشحود، دت، صفحة 113).

وكما سبق القول إن العرب كانوا ماهرين في التجارة ويعرفون أسرارها، وقد خاطبهم القرآن بلغة يفهمونها ومن ذلك توظيفه استعارة المبادلات التجارية في سياق الدعوة إلى الدين الجديد، لاسيما أنهم اعتادوا مزاولتها فقد كانت محور نشاطهم الاقتصادي، وتورد كتب السير والتاريخ الكثير من القصص في هذا الصدد كارتحالهم من أجل التنبّص إلى المناطق المجاورة والبعيدة كالشام والعراق وفارس. ومن ذلك ما ذكره الله في سورة (قريش) رحلة الشتاء

والصيف، "وهاتان الرحلتان هما رحلة تجارة وميرة كانت قريش تجهزهما في هذين الفصلين من السنة إحداهما في الشتاء إلى بلاد الحبشة، ثم اليمن يبلعون بها بلاد جُمَيْرَ، والأخرى في الصيف إلى الشام يبلعون بها مدينة بصرى من بلاد الشام." (ابن عاشور، 1984، صفحة 558).

ونجد ورودا لهذه الاستعارة في السيرة النبوية: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عن أبي هريرة: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة." (الترمذي، دت، صفحة 528). وصف النبي صلى الله عليه وسلم سلعة الله بالغالية، وهنا نجد المبادلة التجارية في اتجاهين أيضا حسب ما يسمى في عُرف التجارة بمبدأ "المقايضة" الذي يعتبر جزء آخر من أجزاء جشطالت التجارة، عبّر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التعبير الاستعاري، فالتبادل قائم بين بضاعتين هما: تقوى الله وبلوغ المنزل أي الجنة. كما وردت كذلك في قصص الصحابة والتابعين، منها ما يروى عن الصحابي "صهيب بن سنان الرومي" الذي ارتحل مهاجرا إلى المدينة فتبعه نفر من أهل قريش يمنعون، فدلّهم على ماله المخبأ في مكة، فخلّوا سبيله، ولما بلغ النبي الخبر، قال ثلاثا: "ربح البيع أبا يحيى." (الأصبهاني، 2009، صفحة 215).

ووردت كذلك في أشعار المسلمين حيث يقول الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان): "أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي. قال: أنشدنا أبو الحسن العقيلي. أنشدنا بشر بن موسى الأسدي. أنشدني الأصمعي عن جعفر الصادق (رضي الله عنه):

أثامن بالنفس النفيسة ربا ... فليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشتري الجنات إن أنا بعثها ... بشيء سواها إن ذلکم غبن

إذا أذهبت نفسي بدنيا أصبتها ... فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن." (الثعلبي، 2002، صفحة 97).

وهذا يدل على امتداد هذا النسق القرآني إلى الاستعمال اليومي في أحاديث العرب وأشعارهم.

لذلك فالقول إن المؤمن يقدّم من خلال طاعاته وأعمال الخير قرضا إلى الله سيعود عليه لاحقا أضعافا مضاعفة وجنات وأنهارا، ليس بالأمر الغريب عنهم ولا بالبعيد عن مسامعهم، بل من شأنه أن يساعد في تقريب مفاهيم الدين الجديد وتعاليمه وتثبيتها في أذهانهم.

وما عزز الأساس الثقافي لهذه الاستعارة هو تشكل نسق تصوّري متكامل عن الذات الإلهية وصفاتها العليا بالموازاة من خلال ما جاء في القرآن الكريم، من بينها أسماء الله الحسنى ذات الصلة بمفهوم التجارة مثل: الحسيب والمحصي والرقيب والقابض والباسط والرزاق والغني والديان.

بالمقابل وجدت تبادلات تجارية أخرى على سبيل المجاز أيضا واستُخدمت في التعبير عن علاقات البشر فيما بينهم مثل قولهم: باع ذمته وضميره، باع العشرة، اشترى خاطر صديقه...؛ نحو ما قاله الشاعر المخضرم أبو نُؤَيْب: "فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فَيْكُمْ ... فَإِنِّي شَرَيْتُ الْجِلْمَ بَعْدَكَ بِالْجَهْلِ". ويقصد: إن كنت تزعمين أني كنت أجهل في هواي لكم وصُوبوني إليكم فقد شريت بذلك الجهل والصبا حلما وعقلا، ورجعت عما كنت عليه (القرطبي، 1964، صفحة 210).

2.2.4 أبعاد بنية استعارة التجارة:

يبنى تصورنا عن الفلاح الدنيوي والأخروي ونيل الأجر والثواب داخل نسقنا الذهني، عبر الاستعارة القرآنية (طاعة الله تجارة رابحة) من خلال إسقاط الأبعاد التجريبية للتجارة على أبعاد تصوّر (طاعة الله)، حيث تتيح لنا مثل هذه التناظرات أن نستخدم معرفتنا حول التجارة والاستدلال بها لينتج عن ذلك تصوّر استعاري أكثر تطورا وتعقيدا في ذهن المتلقي عن مفاهيم الربح والخسارة والفلاح والثواب من خلال جملة من التوافقات النسقية الناتجة عن هذا الإسقاط المفهومي، وهي كالتالي:

المجال المصدر:	المجال الهدف:
- نوع المعاملة	- معنوية
- التاجر	- الإنسان
- المشتري	- الله عز وجل
- السلعة	- الطاعات بأنواعها
- الثمن	- الأجر والثواب
- غاية التجارة	- الربح في الدنيا والآخرة.

ويرتبط بناء (مفهوم التجارة مع الله) في ذهن المتلقي - كالعديد من المفاهيم القرآنية - بنوعية خلفيته الثقافية والفيزيائية التي يتكون منها جشطالت نسقه التصوري في كُليته (فردا مؤمنا أو كافرا)، فمفهوم التجارة بين الناس في المجلد بين ومشارك في ذهن المؤمن والكافر على سواء من ناحيته التعاملية الحقيقية _ على الأقل في أبعاده المعروفة التي سبقت الإشارة إليها _، ولكنه غير متماثل من الناحية المعنوية والمجازية، "يحدث هذا لأن عالم الأشياء المادية معروف لدينا معرفة جيدة، بينما عالم الأفكار هو عالم مجرد يستحيل التفكير فيه دون استخدام ما نعرفه عن الأمور المادية، وهنا يأتي دور الاستعارة حيث تنقل ما نعرف من الظواهر المادية لنشكل ما لا نعرف من

الظواهر غير المادية والتجريدية، وهذا يدل على أن الاستعارة لا تقوم على التشبيه وإنما على التشكيل. (الحراصي، 2002، صفحة 20).

فالأساس الثقافي لتصور (التجارة مع الله) قبل نزول القرآن في مكة، غير محدد الأبعاد حتى مع الأمم السابقة بسبب ما تعرضت له الرسالات السابقة من تحريف وتبديل، ولأنه مرتبط كذلك بتشكيل تصور التوحيد والإيمان باليوم الآخر والحساب، لأن الكافر لا يؤمن بوجود الله ولا بيوم الحساب وهما ركنان أساسيان من أركان الإيمان، قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل 38].

وفي سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء، 136]

ويقتضي هذا أن مفهوم التجارة مع الله متفاوت في تصور الأفراد، وغير وارد أصلاً في ذهنية الإنسان الكافر أو يرد بصورة منحرفة (طقس القران، صكوك الغفران، بيع الأصنام..) حيث تقوم هذه الثلاثة على تصور تجاري وتشكل أجزاء من جشطات التجارة؛ فطقس القران بمثابة البضاعة التي يقدمها الإنسان للآلهة والأرواح، أما تجارة الأصنام فكانت معروفة عند العرب قبل الإسلام، ولا تزال منتشرة لدى الأقوام الوثنية إلى يومنا هذا.

ويكشف بيع الأصنام عن نسق تصوري متكامل عند الأقوام الوثنية وعلاقتهم بالإله، يندرج ضمن مفهوم الإله المادي المجلوب سلعة غالية وبيع أيضاً سلعة غالية، فيسخر كبضاعة للأرباح المادية العاجلة في الدنيا، لأن الدنيا في النسق التصوري الوثني هي المجال الوحيد والأخير للإنسان، فيعزز هذا التصور مركزيته الوجودية على حساب مركزية الإله، لأن التجارة تعزز الأرباح المادية وتعزز المكانة الاجتماعية المعنوية كذلك.

أما "صكوك الغفران" فهي وثائق يصدرها البابا تشهد على غفران الخطايا، سواء ما ارتكب منها بالفعل أو تلك التي لم ترتكب بعد، وتصدر مقابل نقود أو امتيازات خاصة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. (التركي، 1434هـ، صفحة 24).

بينما يبنى تصور التجارة مع الله عبر هذه الاستعارة تباعاً ضمن نسق كلي هو (الإيمان والتوحيد)، حيث جاء القرآن الكريم من خلال استعارة (التجارة مع الله) ليعين تصورات إيمانية معنوية من خلال تصور ملمع في المادية هو التجارة، لذا فبناء هذا النسق يختلف جزئياً أو كلياً من متلقي إلى آخر، لكن هناك حداً أدنى من الاشتراك بفضل منطق التجربة ذاته إذ يصعب تخيل التجارة دون أحد أبعادها المذكورة آنفاً.

3.2.4 التوافقات النسقية والانسجام الداخلي:

تتشكل التوافقات النسقية بين تصوّر (طاعة الله تجارة رابحة) وبين تصوّرنا (للتجارة) بانسحاب اقتضاءات هذه الأخيرة على الأولى مبنية عدة أجزاء من النسق التصوري الكلي عن علاقة العباد باللّٰه تعالى. سنحاول في هذا العنصر استخراج الاقتضاءات المبرزة لهذا التصرّو:

1/ طرفا التجارة (البائع والمشتري):

تقتضي المعاملة التجارية وجود كيانيين ماديين عاقلين، كيان يبيع منتجا أو خدمة وآخر يشتريها بغرض الربح وتلبية الحاجات، سواء كان البائع أو المشتري فردا واحدا أو مجموعة أفراد (مؤسسة تجارية) حيث يشكلان معا ركنا أساسيان في التجارة التقليدية المتعارف عليها، وينسحب هذان العنصران بالإسقاط المفهومي على العلاقة بين الخالق والمخلوق حسب استعارة التجارة الوارد ذكرها في القرآن الكريم حرفيا أو ضمنيا في مواضع كثيرة. مثل قوله الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة، 207]. يقول صاحب التحرير والتنوير: "و(يُشْرِي) مَعْنَاهُ يَبِيعُ كَمَا يَشْتَرِي بِمَعْنَى يَبْنِئُ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِنَا ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 41]. واستُعْمِلَ يُشْرِي هُنَا فِي الْبَذْلِ مَجَازًا، وَالْمَعْنَى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْذُلُ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ." (ابن عاشور، 1984، صفحة 273).

أي أن علاقة الله مع الإنسان أشبه بمعاملة تجارية صارمة يبيع المرء حياته لله جهادا ليشتري بالمقابل مرضاته وما يستتبعها من جنات ونعيم في حياة أخروية أفضل من حياته الدنيا التي ضحّى بها. ومن اللافت أن إسقاط هذين البعدين (بائع وشاري) في تجربة التجارة الحقيقية على تصوّر التجارة المجازية كما وردت في القرآن يسمح باستنباط خصوصية في التوافقات النسقية الناتجة، إذ ترد عملية البيع والشراء بلفظ (شُرِي/اشترى) مجازا في خمسة وعشرين موضعا نذكر بعضها في هذا الجدول:

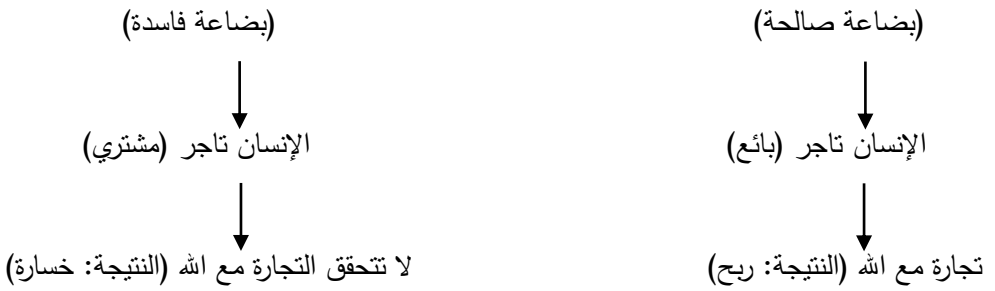
الآيات	نوع البضاعة	البائع	المشتري	النتيجة
(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) ﴿207 البقرة﴾	صالحة (الجهاد في سبيل الله)	الإنسان	الله تعالى	ربح
(وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ)	فاسدة (الكفر)	النفس	الإنسان	خسارة

				وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ (41 البقرة)
خسارة	الإنسان	النفس	فاسدة (تزييف الكتاب)	(قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَابَ بِيَدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُنَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾) 79 البقرة
خسارة	الإنسان	النفس	فاسدة (تفضيل الحياة الدنيا على الآخرة)	(﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْقُقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾) 86 البقرة
خسارة	الإنسان	النفس	فاسدة (الكفر)	(يَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾) 90 البقرة
خسارة	الإنسان	النفس	فاسدة (الضلال والعذاب)	(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾) 175 البقرة
ربح	الله تعالى	الإنسان	صالحة (الجهاد: الشهادة أو النصر)	(﴿ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾) 74 النساء

ريح	الله تعالى	الإنسان	صالحة (الجهاد بالنفس والمال)	(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ) ﴿111 التوبة﴾
خسارة	الإنسان	النفس	فاسدة (لهو الحديث والضلال)	(وَمَنْ النَّاسِ مَنْ شَتَرَ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿6﴾) ﴿6 لقمان﴾

نستنتج من خلال الجدول ملاحظتين:

- أن الإنسان هو صاحب السلعة دائما سواء كان بائعا أو مشتري.
- أن صفقة البيع محققة بينما صفقة الشراء لا تتحقق (وهذا بناء على الملاحظة الأولى).



وتستلزم عملية الإسقاط المفهومي التناظري للصورتين الحقيقية والمجازية للبائع والمشتري، اقتضاءات (أنطولوجية ومعرفية) واستحضار جملة من الخصائص والشروط حتى تقوم لهذه العلاقة قائمة وتتحقق الأرباح، ومن هذه الشروط:

1/ تحقق شرط الحاجة: تتعلق المعاملة التجارية بمسألة مهمة هي "الحاجة"، لأن التجارة تستلزم تلبية حاجات وجودية معينة لكلا الطرفين، فالبائع في حاجة إلى مال المشتري والمشتري في حاجة إلى بضاعة البائع، فالباعث لإجراء المعاملات التجارية هو "الحاجة" بالدرجة الأولى.

أما في تصور التجارة مع الله فلا تتطابق هذه الأبعاد في الإسقاط المفهومي إلا جزئيا، حيث لا تتساوى في تصور العلاقة التجارية المجازية بين الله والإنسان، معادلة الحاجة بين طرفي المعاملة التجارية كما هو الأمر في معادلة

القيد المزدوج بين الدائن والمدين بالتعبير المحاسبي الصرف، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت، 6].

وتقوم نظرية القيد المزدوج: على أن "لكل عملية مالية تأثيراً على طرفين (حسابين): أحدهما مدين والآخر دائن، وينبغي أن تكون مديونية أحد الطرفين تساوي دائنية الطرف الآخر، وبذلك يكون الطرفان متساويان في القيمة، ويتم تسجيل العملية المالية بحيث تؤثر على طرفيها المدين والدائن تأثيراً متساوياً بالقيمة. أما نظرية القيد المفرد: فهي نظرية محاسبية قديمة استخدمت قبل ظهور القيد المزدوج، تقوم على أساس جرد موجودات ومطلوبات الشركة في بداية المدة، وجردها مرة أخرى في نهاية المدة، ويكون الفرق هو الربح أو الخسارة. تناسب هذه الطريقة الوحدات الصغيرة وفيها يتم تسجيل المعاملات المالية مع الغير فقط." (الساعدي، 2018، الصفحات 47-49).

والجهاد في سبيل الله من البضاعات التي يبيعها الإنسان لله (مجازاً) _حسب الآيات سابقة الذكر في سورة فاطر وفصلت وغيرها_ ، فالنفس هي أنفـس ما يعرضه الإنسان لله، ولا شك أنه ينتظر عوضاً على ذلك، وهنا مكن حاجته، في حين لا ينطبق هذا الاقتضاء الاستعاري على الذات الإلهية لانتفاء حاجته لها، يقول فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآية من سورة العنكبوت: "تَذُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ رِعَايَةَ الْأَصْلَحِ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ بِالْأَصْلَحِ لَا يَسْتَقِيدُ فَائِدَةً، وَإِلَّا لَكَانَ مُسْتَكْمِلًا بِنُتْكَ الْفَائِدَةِ وَهِيَ غَيْرُهُ وَهِيَ مِنَ الْعَالَمِ فَيَكُونُ مُسْتَكْمِلًا بِغَيْرِهِ فَيَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَيْضًا أَفْعَالُهُ غَيْرُ مُعَلَّلَةٍ لِمَا بَيَّنَّا." (الرازي، 1420هـ، صفحة 29)، فالتجارة قائمة لحاجة الموجودات إلى موجودات غيرها داخل هذا العالم، والخالق سابق عن عالم خلقه فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ولا تضيف له في عالمه المخلوق شيئاً.

2/ امتلاك البائع للسلعة (البضاعة):

حتى يتم البيع نقداً لا بد أن تكون هناك سلعة أيا كان نوعها (مادية أو خدماتية) وإلا تحولت المعاملة إلى احتيال. وبقتضي البيع في التجارة مع الله _حسب الاستعارة القرآنية_ أن تتوفر سلعة حاضرة هي أعمال الإنسان الصالحة في الدنيا من طاعات مادية ومعنوية، وهي حسب الآيات محل الشاهد من سورة الصف واطر: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد بالمال والنفس، وتلاوة كتاب الله، وإقامة الصلاة، والإنفاق سرا وعلانية.

1.2/ التجارة الرباحة والتجارة الخاسرة حسب نوعية الأعمال:

نوعية البضاعة وعلاقتها بتحصيل الأرباح:

ترتبط الأرباح في علاقة العباد بالله تعالى حسب النموذج الأول والثاني من الآيات المدروسة بمجموعة من الطاعات (البضاعات) وفي صدارتها الإيمان بالله ورسوله: وأول تجلياته نطق الشهادتين يقينا واعترافاً بوحداية الله

ونبوة رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الإيمان مدار كل الطاعات وشرط أساسي لقبولها، وينسحب على التجارة القرآنية لأنه البضاعة الأولى التي ينبغي على الإنسان أن يمتلكها ويتقدم بها إلى الله لتقبل منه بقية البضاعات.

الجهاد بالمال والنفس: جاء الجهاد بالمال والنفس في الدرجة الثانية بعد الإيمان بالله ورسوله؛ والجهاد_ كما تقدم شرحه_ من أنفس البضاعات وأعلاها أجرا عند الله، والتي تستوجب ربح البائع (المؤمن) لأنها حمل النفس على ما نكره، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة 20]

يقول الواحدي: "وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ معنى الفوز في اللغة: الظفر بالبغيّة وإدراك الطلبة"، (الواحدي، 1430هـ، صفحة 339). وهو هنا الرّبح المتحصل عليه من تجارتهم مع الله والمتمثل في ثواب الدنيا والدرجة العليا في الآخرة.

تلاوة كتاب الله: الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان الذي لا يكتمل إيمان الإنسان إلا بتوفرها جميعها، وتلاوة القرآن وحفظه من البضاعات التي يتاجر بها الإنسان مع الله، تعود عليه بالربح وتجنبه الخسارة، يبين تعالى ذلك في آية أخرى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة 121]

أ. **إقامة الصلاة:** للصلاة مكانة كبيرة في العقيدة الإسلامية وقد ساوى الكثير من الفقهاء تاركها بالكافر، فهي عماد الدين وأول ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، وهي من أجلّ العبادات التي يتقرب بها الإنسان لربه، لذا فمؤديها يدرأ عن نفسه العذاب ويستجلب الثواب، فضلا عن الفوائد النفسية والروحية التي يتحصل عليها جراء تأديتها.

ب. **الإنفاق سرا وعلانية:** تعدّ الصدقة من المجاهدة بالمال أيضا فالإنفاق بمختلف أنواع الصدقات سرا وعلانية، تزكية للنفس تعلمها مهارة ترك ما هو قريب من متاع الدنيا في سبيل الله للظفر بمتاع الآخرة الأكبر.

1.1.2/ أخلاقيات التجارة:

الجدير بالذكر أن التجارة الدنيوية التي يمارسها الناس فيما بينهم أصبحت تخضع لقوانين ضابطة ومراقبة مستمرة من طرف الهيئات المختصة التي تحدد أخلاقيات امتهاتها، وبإسقاط هذا الاقتضاء المعاصر من بنية

جشطالت التجارة على جشطالت استعارة (التجارة مع الله) نستنبط شروطا ضرورية لقبول العمل الصالح فليس كل عمل صالح مقبول ومأجور عليه، ومن ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" (مسلم، 1991، صفحة 703) ومنها:

- **جودة البضاعة:** ويقابلها بالإسقاط المفهومي: الصدق والإخلاص في أداء الطاعة. فكلما تحرّى الإنسان النية الصادقة والإخلاص لله، زاد صلاح أعماله وبالتالي زادت فرصة القبول والثواب.
 - **الأمانة وعدم الغش في السلعة:** ويقابلها تجنب الرياء في أداء الطاعة. قد تبدو الطاعة ظاهرياً صالحة ولكن إذا كان الدافع إليها نية مشوبة بالرياء والتظاهر ستصبح بضاعة فاسدة وتجارة كاسدة.
- فالإنسان من خلال تجربته التجارية الفعلية يستنبط أخلاقيات في التجارة المعنوية وفق التناسبات بين الاقتضاءات الاستعارية.

2.2.2/ المتاجرة بالباطل:

تحليل الأنموذج الثالث: يقول الله تعالى في سورة (البقرة): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، 16]

تتجلى في هذه الآية التي أعقبت آيات ذكر صفات الكفار والمنافقين في أوائل سورة البقرة، استعارة بنيوية هي (الضلالة تجارة خاسرة)، واشتروا بمعنى استبدلوا، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيءٍ مشترياً له، وبائعاً لِلْآخِرِ". (ابن الجوزي، 1422هـ، صفحة 35)

وقد تقدم سابقاً اقتضاء أن سلعة الإيمان شرط أساسي لقبول بقية أعمال (سلع) الإنسان المؤمن التي يتقدم بها إلى الله، في حين تكمن بضاعة الكافرين والمنافقين في الضلال وهو الكفر؛ أي انتفاء هذا الشرط الأساسي، وبالتالي فإن هذه المعاملة التجارية باطلة من الأساس. ونتيجتها: كساد السلعة وبوارها، ونفي رأس المال عنهم (ما كانوا مهتدين): أي أنهم كانوا دون رأس مال (الهداية) وباعوا شيئاً لم يملكوه وبدل أن يشتروه كسلعة تريح بها تجارتهم مع الله، اشتروا شيئاً يضرهم فتجارتهم خاسرة.

ويفسرهما الرازي: "﴿وما كانوا مهتدين﴾ فالمعنى أن الذي تطلبه التجار في متصرفاتهم أمران: سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الأمرين؛ لأن رأس مالهم هو العقل الخالي عن المانع، فلما اعتقدوا هذه الضلالات صارت تلك العقائد الفاسدة الكسبية مانعة من الاستغلال بطلب العقائد الحقّة". (الرازي، 1420هـ، صفحة 311).

إن مفاهيم الربح والخسارة المبنية انطلاقاً من استعارة التجارة المجازية القرآنية، لا يمكن أن تفهم وتبني تصوراتنا عن العلاقة بين الله والعباد دون وجود نسق قاعدي مسبق يشكل لنا مفهومي الربح والخسارة بوصفها

تمثلات قاعدية. ويقدم لنا القرآن الكريم هذا التمثل القاعدي وبداية تشكل أول مفهوم للربح والخسارة من خلال أول جريمة للإنسان على الأرض وهي قتل قابيل ابن آدم لأخيه هابيل.

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿27﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿28﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِثْمِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿29﴾ فَطَوَعَتْ لَهٗ نَفْسُهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿30﴾﴾ [سورة المائدة، 27-30].

تمثلت بضاعة قابيل في جريمة القتل وتعد هذه البضاعة فاسدة وباطلة " فَقَتَلَهُ بَغْيًا عَلَيْهِ وَحَسَدًا لَهُ، فِيمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنَ النُّعْمَةِ وَتَقَبَّلَ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَخْلَصَ فِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَازَ الْمُقْتُولُ بِوَضْعِ الْإِثْمِ وَالْدُخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَخَابَ الْقَاتِلُ وَرَجَعَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". (ابن كثير، 1419هـ، صفحة 73).

تشكلت بهذه الحادثة أولى تصورات الخسارة تجريبيًا لدى البشر لأن تجربة القتل لم توجد قبل ذلك مع الإنسان، والأساس الذي نهض به هذا التصور هو نسق الإيمان المتكون من: مفهوم التقوى، ومفهوم الخوف من الله، ومفهوم الإثم ومفهوم الجزاء. فغياب التقوى والخوف يعزز مفهوم الإثم تجريبيًا ويصبح الجزاء تحصيلًا حاصلًا. تقدم لنا هذه التجربة مثالًا حيًا عن التجارة الرابحة والتجارة الخاسرة حسب نوعية الأعمال، وضرورة تحقيق أخلاقيات التجارة المجازية مع الله من إخلاص وبعد عن الرياء، من خلال تجربة قربان القاتل وقربان القاتل وجريمته، إذن فعُلت هذه التجربة تصوّر الخسارة ليصبح تصوّرًا قاعديًا لكل من يقدّم على بضاعة فاسدة من إثم أو جرم.

فالنتيجة أن أعمال الإنسان من خير أو شر هي بمثابة بضائع يبيعها العبد لله عز وجل، غير أن الله تعالى لا يقبل سوى بضاعات بعينها تضمن ربح البائع، في حين تزج به بضاعات أخرى في خسارات فادحة في الدنيا والآخرة. وعقد المتاجرة هنا هو عقد باطل.

3/ امتلاك الشاري للثمن فورًا أو مؤجلًا:

لا يزاوّل التجار أعمالهم التجارية عبثًا، بل يهدف كل تاجر من وراء تجارته تحقيق الأرباح، ومن اقتضاءات المعاملة التجارية أن يدفع المشتري مقدارًا من المال نظير حصوله على سلعة ما، وأن يقبض البائع الثمن كاملاً فورًا (تجارة حاضرة تديرونها بينكم بلفظ القرآن في الآية 282 من سورة البقرة). أو مؤجلًا بمعنى دين، يقول ابن عاشور: "والدين في كلام العرب العوض المؤخر" (ابن عاشور، 1984، صفحة 99)، والتجارة مع الله حسب

عملية الإسقاط المفهومي تبادل شأنه شأن التجارة الفعلية ولكنه يختلف عنه في جزئية الحضور لا من ناحية الوجود، فالتجارة مع الله موجودة مادام العبد حيًا يرزق بل حتى بعد موته حسب ما أورده حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (النووي، 1996، صفحة 253)، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾⁽²⁹⁾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ⁽³⁰⁾ [سورة فاطر، 29-30] فالتبادل موجود والعوض واقع لا محالة لكنه عوض غير محدد الكم والكيف والأجل.

وإسقاط هذه المفاهيم التي تشكل جزءا من جشطالت التجارة على الاستعارة المدروسة ينتج مجموعة من التوافقات النسقية:

(1) **الله صاحب الثمن:** يأجر الناس على أعمالهم (بضاعاتهم) وتعرض الآيات _ محل الاشتغال _ مجموعة من الأجر المؤجلة في الآخرة وهي: حسب سورة الصف: النجاة من عذاب أليم/ مغفرة الذنوب/ الإدخال إلى الجنة/ مساكن طيبة في جنات عدن. وفي سورة فاطر: استيفاء الأجر وزيادة من فضل الله.

وأجر يتحصل عليها في الدنيا: فتح قريب: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصَرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹³⁾ [الصف 13] والفتح المقصود هو فتح مكة أو فارس والروم حسب ما يذكره الزمخشري في تفسيره. (الزمخشري، 1998، صفحة 528).

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ بمعنى ما ترغبون به من نعم كثيرة أخرى عاجلة في حياتكم الدنيا، وفيه تعريض بأنهم يُؤْتِرُونَ الْعَاجِلَ عَلَى الْآجِلِ (أبو السعود، دت، صفحة 245). ويشتمل ما يحبه المؤمنون أيضا الفائدة والأرباح التي سيجنيها الإنسان من تجارته مع الله في الدنيا على الصعيد النفسي والروحي والاقتصادي والاجتماعي وعلاقته بالله، فالإنسان متطبع بالعجلة والرغبة في الربح السريع.

نستنتج مما سبق أن التجارة مع الله تجارة معنوية (غيبية) وأنها معاملة غير حاضرة بالضرورة بمعنى غير مباشرة، وليست معروفة الأجل والكم والمدة، فهذه العناصر من البديهي أن تكون معروفة جيدا (مهما كانت قيم الأرباح تقريبية وتقديرية) في أي تجارة دنيوية، إلا أن التجارة مع الله من الغيبيات إذ لا نعرف كمية الأرباح ولا

نوعيتها (حسنة، جنات وأنهار، شفاء من سقم، مال، ذرية..) ولا نشعر بزمان حصولنا عليها في الدنيا لأنها تنفرع إلى أرباح كثيرة (بركة، صحة، رزق، سعادة، ثروة، زواج، ذرية، علم، مكانة، تفريح كريات...).

أوجد الإنسان التجارة الدنيوية لتحقيق هذه الأغراض كلها، وتلبية مختلف المطامح والحاجات، لكن السعي إليها يكون باتخاذ سبل مختلفة لا تراعى فيها المعاملة التجارية المجازية بين الله والإنسان بالضرورة، هذه المعاملة بالتحديد هي ما يضيف على التجارة الدنيوية مفهوم البركة. لأن البركة هي الزيادة في الخير والربح. (الجديع، 2000، صفحة 28)، وهي مشروطة بقيام علاقة إيمانية متينة تراعى فيها أخلاقيات التجارة المجازية _المذكورة سابقا_.

وتؤكد الآيات والإسقاطات الاستعارية المستخرجة أن التجارة مع الله رابحة حتما بالنظر إلى كونها غيبية وممتدة في الزمن (عاجلة وآجلة)، وبالنظر كذلك للأجور المضاعفة التي يقدمها الله للعباد في الآخرة، المادية مثل: (الجنة والمساكن الطبية..) والمعنوية مثل: (الرحمة والرضوان ومحو الذنوب).

فإذا كان تصوّر الإنسان لمضاعفة الأرباح وسرعتها غير مرتبط بتصور علاقته مع الله تعالى ضمن نسق تصوّري تجاري شامل، فإن المفهوم الإسلامي الغيبي للربح والزيادة وهو "البركة" سينحصر تماما في ذهن المؤمن والكافر على سواء وسيستبدله بلهفة متزايدة نحو الربح السريع بطرق شتى منها المعاملات الربوية وإضفاء الطابع القانوني والمؤسساتي عليها (مثل البنوك)، وخاصة في ظل طغيان الطابع المادي للعيش.

(2) الدين: تعتبر مسألة رد الديون لأهلها في المعاملات التجارية من أخلاقيات التجارة التي ينضوي التقصير فيها على إخلال بالعقد بين طرفي المعاملة (الدائن والمدين) لذلك أوجب الله تعالى الإشهاد والكتابة في الآية (282) من سورة البقرة وسميت بآية الدين أو المداينة، لما ذكر فيها من بعض أحكام التداين كالكتابة والتوثيق والإشهاد.

ونجد في الفقه الإسلامي مسألة قضاء الديون والكفارات، في العبادات كالصيام والصلاة، والشاهد هنا أن هذا يجري أيضا في المعاملة التجارية المجازية مع الله، فهي بمثابة ديون تقع على كاهل الإنسان المكلف المطالب بأن يقضيها وفق الشروط والكيفيات التي حددتها الشريعة الإسلامية.

(3) الحساب والإحصاء: جزئية الحساب في تصوّر العقيدة وكذلك في تصوّر التجارة مع الله أمر غيبي فلا يجدي إسقاط أي نوع من الطرق المحاسبية الدائرة في المعاملات التجارية بين المؤسسات أو الأفراد (كالقيد المزدوج أو القيد المفرد) على استعارة التجارة مع الله، فالعرب لم يكتشفوا فكرة القيد المزدوج لذلك استبعد العمل بهذه الفكرة،

بينما في مفهوم المتلقي المعاصر للقرآن يمكن لخبير محاسبي أن يبيّن تصوّره عن الحساب من خلال هذه الجزئية، ليدرك أن القيد المزدوج أو غيره من النظريات المحاسبية غير قابلة للتطبيق لأن الحساب في الآخرة من الغيبيات. فالحساب لا يجري في الآخرة كما يجري في الدنيا، ولكن يمكن رصد بعض الخصائص التفاعلية لهذا الجزء من التصوّر من تجربة المحاسبة التجارية وتصورنا عن الحساب الأخرى مثل عملية الإحصاء، فالحساب يقتضي إحصاء كل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْتِهِمُ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة 6]. يقول الرازي في تفسير هذه الآية: "وقوله: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي أحاط بجميع أحوال تلك الأعمال من الكمّية والكيفيّة والزّمان والمكان؛ لأنّه تعالى عالم بالجزئيات، ثمّ قال: ﴿وَنَسُوهُ﴾ لأنّهم استحقّقوها، ونهاؤنّها بها؛ فلا جرّم نسوها." (الرازي، 1420هـ، صفحة 188).

يدلّ هذا أن تصوّر الإحصاء جزء مكين من المعاملة المحاسبية المجازية في استعارة التجارة مع الله وهي قائمة على مدار الوجود، بل تكتمل المعاملة التجارية في الآخرة عندما تُقسّم الأجور بعد عرض البضاعات (أعمال الناس)، كما هو الحال في عملية الجرد الإحصائي في المحاسبة التجارية الحقيقية. يسمح إجراء هذا الإسقاط بتوسيع النسق التصوري لمفهوم التجارة مع الله في ذهن الإنسان المؤمن بيوم الحساب عبر ربط جزئية الإحصاء بجشطالت التجارة الشامل، في حين ينوّه اللفظ القرآني: "نسوه" بضعف هذا المفهوم ومحدوديته في ذهن الإنسان الذي لا يقيم علاقة تجارية مع الله من الأساس.

5. الخاتمة:

يصل هذا البحث في نهايته إلى مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية:

- يتباين تصوّر الأفراد الشامل للتجارة مع الله حسب الخصائص التفاعلية لكل فرد، عبر تجربته التجارية الفعلية وتجربته الإيمانية حيث يتداخل النسقان حسب درجة تفاعل الإنسان مع تجربته.
- تُعيّن علاقة التجارة المجازية بين الله والعباد حاجة العباد الدائمة لله تعالى فهي ليست معاملة وقتية محدودة.
- تبرز هذه الاستعارة القرآنية تجرّداً عالياً من الماديات على عكس التجارة الدنيوية المغرقة في الماديات.
- أسست هذه الاستعارة مفهوماً مغايراً للربح والخسارة قائماً على معايير جودة أخلاقية لنوعية الأعمال التي يأتيناها الإنسان في حياته. وتحدد بذلك مفهوم التجارة الدنيوية باعتبارها معاملة، في حين يتجلى بالتجارة مع الله مفهوم العبادة.

- تكمن إبداعية استعارة التجارة مع الله في أنها استعارة حية لا تموت لأنها ضمن نسق منسجم وتبني تجارب روحية جديدة انطلاقاً من تجربة واقعية يومية لا غنى عنها في حياة أي فرد، ليس هذا فحسب بل المعاملات الإنسانية كلها باختلافاتها شكل من أشكال التجارة، فهي تتبني على مبدأي الأخذ والعطاء والربح والخسارة. فهي تشترك مع تجارب بشرية أخرى في جزء من النسق التصوري هو الربح والخسارة، والتجارة من أبرز التجارب التي تهيمن عليها هذه الثنائية. فالاستعارة كما سبق واستنتجنا؛ تنهض بمعرفة جديدة عن طريق إقامة ترابطات بين تصورات لا مشابهة بينها في الأساس.
- تتضمن عملية البيع والشراء في هذه الاستعارة عدة عمليات أخرى مثل القرض، والحساب، والميزان.. تشكل تعابير استعارية تتدرج ضمن النسق التصوري الشامل نفسه، سنحاول تبيانها استعارياً في مقالات أخرى.

6. قائمة المراجع:

1. ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير (الإصدار 1، المجلد 1). (تحقيق: عبد الرزاق المهدي) دار الكتاب العربي. لبنان.
2. ابن عاشور الطاهر. (1984). تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر. (دط). تونس.
3. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري. (1419هـ). تفسير القرآن العظيم (الإصدار 1، المجلد 3). (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون. لبنان.
4. الأصبهاني الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق. (2009). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (دط، المجلد 1). (تحقيق: سامي أنور جاهين). دار الحديث للطباعة. مصر.
5. الترمذي محمد بن عيسى بن سورة. (دت). سنن الترمذي (دط، المجلد 4). دار الكتب العلمية. مصر.
6. الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2002). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (الإصدار 1، المجلد 5). (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور)، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
7. الجديع، ن. ب. (2000). التبرك أنواعه وأحكامه، (الإصدار 5). مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. السعودية.
8. الحراصي عبد الله. (2002). دراسات في الاستعارة المفهومية (الإصدار 3). دار نزوى. عمان.
9. الرازي فخر الدين. (1420هـ). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (الإصدار 3، المجلد 29). دار إحياء التراث العربي. لبنان.

10. الزمخشري محمود بن عمر بن أحمد. (1998). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل (المجلد 4). مكتبة العبيكات. الرياض، السعودية.
11. الساعدي، ص. م. (2018) مبادئ المحاسبة المالية (الإصدار 2). كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد. العراق.
12. السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (الإصدار 1). (تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح) دار مؤسسة الرسالة.
13. الشحود علي بن نايف. (دت). موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (دط). المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. مصر.
14. العمادي محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود. (دت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي. لبنان.
15. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (1964). الجامع لأحكام القرآن (الإصدار 2، المجلد 1). (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش) القاهرة، دار الكتب المصرية. مصر.
16. لايكوف جورج. (2014). النظرية المعاصرة للاستعارة. (طارق النعمان، المترجم). مكتبة الإسكندرية. مصر.
17. لايكوف جورج؛ جونسون مارك (2003). الاستعارات التي نحيا بها. (جفّة عبد المجيد، المترجم) دار توبقال. المغرب.
18. لايكوف جورج؛ جونسون ومارك. (2016). الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديّ الفكر الغربي (الإصدار 1). دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان.
19. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1991). صحيح مسلم (باب الزكاة) الحديث (1015)، (الإصدار 1، المجلد 2). دار الكتب العلمية. لبنان.
20. مصمودي وسيمة نجاح. (2017). المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي (الإصدار 1). دار كنوز المعرفة. الأردن.
21. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1996). شرح النووي على مسلم (المجلد 11). دار الخير للنشر.

22. الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1430هـ). *التفسير البسيط* (الإصدار 1، المجلد 10). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي عمادة البحث العلمي. السعودية.
23. التركي عبد الرحمن بن محسن. (1434هـ). *صكوك الغفران لدى النصارى، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية*. مجلة العلوم الشرعية (28)، 24.
24. عرفة سالم عبد الله. (مارس، 2023). *آلية التعامل التجاري عند العرب قبل الإسلام*. مجلة العلوم الإنسانية (26). 254.